

# روائع الإمام مالك

د. إسلام المازنى

لكل إمام في قلبى رونق خاص , و مشهد  
مميز

لعلى أئينه لو كان فى العمر بقية إن شاء  
الله

و لكن وقفاتى هنا مع تلك الملاحظات  
لتشاركونى التأمل و العمل بما يوجبه  
التدبر إن شاء الله

ولكى نعلمها للصغار و الناشئة ليعلموا  
كم كان سلفنا أبطالا

و للكبار ليخففوا من تربيت و هدهدة  
الجيل

والد الإمام مالك ( اسمه أنس ) كان رجلا  
مشلولا مقعدا !

يصنع النبال و يبيعها ليعيش !

و لم يكن عالما !

و كان يشجعه و يثبته للتعلم !

\*\* يعنى والده لم يطلب منه أن يعمل أى مهنة ليربحه ....

\*\* والده لم يقبل الصدقة و هو مقعد ...

\*\* لم يكن والده رجل أعمال و لا موظفا مستقرا

بل كان رجلا فقيرا مشلولا ... و خرج ابنه عالما

\*\* لم يكن يوفر له سيارة للمدرسة ولا اشتراكا فى النادي

و لا مكتبة دسكات كمبيوتر و لا مصروف للحلويات

.. و رغم المعاناة ... كان ما كان ....

فما أروع الأبن و ما أروع الأب ...و ما  
أروع الأم

الصبورة المربية ( اسمها : الغالية ) ....

\*\* كان الإمام مالك فقيرا أيضا بعد  
استقلاله فى الحياة

لدرجة أنه ورد فى سيرته أنه :

باع سقف بيته لينفق , حيث نقضه و باع  
خشبه !

---

يعنى سقف البيت خشب لا يحمى من  
الحرارة تماما و لا من الصقيع !

و لا مراوح و لا دفايات

و لم يترك طلب العلم و ينام من الزهق  
و القرف

و لم يعرض عن التدريس و يعمل بمهنة  
تدر دخلا بل تحمل الفقر و زوجته  
معه... طلبا للعلم

زوجته كانت من الإماء ( سرية )....

يعنى لم يتزوج بنت عائلة

رغم أنه جلس للفتوى و برز نجمه و هو  
ابن 17 سنة... حين شهد له سبعين عالما  
أنه أهل للتدريس !

\*\* استمر فقره بعد الزواج لدرجة أن  
المعاصرين قالوا :

أنهم يشهدون أن ابنة الإمام كانت تبكى  
من شدة الجوع !

\*\*\* لم تكن تبكى طلبا للأيس كريم و لا  
الفسحة

بل من الجوع .....

\*\*\*فتح الله عليه المال بعدها و ربح فى  
تجارته !

\*\*\*مكث يجمع كتاب الموطأ سنوات  
طويلة

و قال كتبت بيدي مائة ألف حديث !

---

100000 حديث

لم تكن أقلامهم باركر أو شيفر أو بلية  
دوارة

فتخيل صعوبة الكتابة !!..

و الكفاح المستمر !!

كانت أقلامهم من الخيزران

تتكسر فيضطر لبرى غيرها

و تؤلم فى مقبضها فليست من  
البلاستيك الناعم

و الأحبار من الأصباغ الرديئة بمقاييسنا

و الورق من الجلد الجاف و شتى لحاء  
الأشجار

يعنى مسألة برى الأقلام بالسكين !

و تصبغ اليد من الأحبار !

و رائحتها فى الأنف , كما أنها ليست  
معالجة ضد التسمم !

و فرد الأوراق قبل الكتابة مهمة سخيفة  
مملة ! تكلم عنه السلف أنه مهمتهم  
التقليدية حين يفترون من المطالعة أو  
يأتى ضيف يشوش عليهم !

فلم يكن يكتب فى دفتر سلس لولبى  
الكعب  
و لا فى الصفحات المصقولة المستوردة  
و لا يكتب على الكى بورد الحساس !

ثم مهمة نشر الأوراق لتجف الأحبار بعد  
الكتابة !

و إيقاد السراج بالزيت المتعب للعين !  
فليس هناك أباجورة مكتب و معطر جو !  
و الضوء الخافت البسيط !

فليس هناك مصابيح فلورسنت و لا  
هالوجين و لا تنجستين !



\*\* ورد فى سيرته الصحيحة أن ابنته  
فاطمة كانت تحفظ الموطأ !

\*\* منا من لم يقرأه ولا مرة

بل لم ير شكله

و ليس فقط لم يحفظه

و لا يعرف تفسيراً لأحاديثه التى أفنى  
عمره لتصل لنا !

بل و لا يعرف حتى كم عددها !

و لا لم قالها الرسول صلى الله عليه و  
سلم

هل قيلت للفقهاء فقط !

أم الفقهاء مهنتهم استنباط الأحكام  
الدقيقة !

الأحاديث و القراءن قصد بها كل مسلم ..

و المتشابه منها هو ما خص به الفقهاء !  
و ليس كل الأحاديث فى الفقه !

\*ورد فى سيرته أنه :

كانت ابنته فاطمة تجلس أثناء الدرس  
خلف الباب ,

فلو أخطأ من يقرأ على أبيها دقت الباب  
فأمره الإمام

أن يعيد ليتنبه لموطن الخطأ !

\*\* لم تكن سافرة

\*\* و لم تكن تضيع وقتها فى الشبكة  
العقريية

و لا

و لا

ولا

\*\* فى يوم من الأيام حكى أحد طلابه

أن خادمة الإمام مرت به حين جلس  
على بابه ينتظره للخروج فجرا , ليصاحبه  
كما يفعل يوميا ,

فنام الطالب من الإرهاق , فلما مرت به  
سائرة خلف الإمام خارجة معه للصلاة  
ضربت رجله برجلها وهى منتعلة ,  
وقالت : قم يالكع  
إن شيخك صلى الفجر بوضوء العشاء  
أربعين سنة !!!

---

يعنى بيت فى الشارع طلبا للعلم !

و شيخه المسن عابد فتح الله عليه ما لا  
تعليق عليه !

و بلغ من قلة طعامه و شرابه ما بلغ  
!

و الخادمة عابدة خلف مولاها  
و ترى الكسل عارا على الشباب !  
و تنكر المنكر و تنصح  
و هو لم يغضب منها أن رفته  
فهي تحتد فى التربية , و لا تلمس الرجل  
بأصابعها  
و تراها فرصة للفسق ..  
و هو يعتبرها كأمه التى تربيه  
بل اعتبرها أعجوبة و كتب القصة فى  
تاريخه ليقرأها الأجيال

---

جلس الإمام أبو يوسف علامة الأحناف  
ثلاثة أعوام على باب الإمام

مالك لسمع سبعمائة حديث !

و قال : سمعتها من فيه بلا واسطة !  
و كان فرحا و يعتبرها مزية و مفخرة و  
فضلا !

700 فقط في ثلاثة سنوات لينال شرف  
سماعها من أصلها فيتجنب الخطأ ..  
.....

\*\*\* كان يقول لا أدري في كثير من  
الأسئلة !

مرة أجب عن 32 سؤالا من بين 48  
سؤالا !

\*\* أنا قلما أسمع كلمة لا أدري من يوم  
أن وعيت ...

\*\*\*بعد أن جلس مالك رحمه الله للفتيا  
رجع إليه اثنين من شيوخه للسمع منه و  
الجلوس أمامه كطالبين للعلم !

يعنى الواقعة دليل تفوقه العجيب ..  
نعم ...

لكن هناك ملاحظة ثانية  
أنه لا استكبار عندهم و هو شيوخه ..  
فنعم الجو العلمى الخلقى .. إنه - والله  
أعلم - الصدق مع الله ...

و لا استنكار أن يكون الطالب أعلم و أن  
يسبق

و قلما نرى أستاذا فى جامعة يسأل طالبا  
, ممن أصبح مدرسا مثله لا فى الطب و  
لا فى غيره

و الله يعلم أن من الطلاب من يعلم أكثر  
بكثير

لكنهم يرونها عارا

ويفضلون الجهل...إلا من رحم الله

ثلة من الأولين و قليل من الآخرين ...

أما أجدادنا فرحمهم الله جميعا ....

**و هاك موقفا لم نر مثله :**

**أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء**

**(76|8): عن ابن وهب :**

**سمعت مالكا وقال له ابن**

**القاسم: «ليس بعد أهل المدينة**

**أحد أعلم بالبيوع من أهل مصر».**

**فقال مالك: «من أين علموا**

**ذلك؟». قال: «منك يا أبا عبد**

**الله». فقال: «ما أعلمها أنا،**

**فكيف يعلمونها بي ! .**

**انظر فما هو إلا صدق أو تواضع و  
هما عزيزان و الله ..**

**و يسر الله لمالك :**

**روي أن الخليفة المنصور قال له :  
«إن رايبك ريبٌ من عامل المدينة  
أو مكة أو عمال الحجاز في ذاتك  
أو ذات غيرك، أو سواء أو شر  
بالرعية فاكتب إلي أنزل بهم ما  
يستحقونه» .**

**(انظر مناقب مالك للزاوي ص  
30).**

**وأمر الرشيد عاملاً على المدينة  
بأن لا يقطع أمراً دون الإمام مالك  
رحمه الله , واشتهر عن الرشيد  
أنه كان يجلس على الأرض أمامه  
لاستماع حديثه !**

**و من درر أقواله :**

**قال الإمام مالك -رحمه الله- :  
«من ابتدع في الإسلام بدعة يراها**



حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان  
الرسالة. لأن الله تعالى يقول:  
{اليوم أكملت لكم دينكم}. فما لم  
يكن يومئذ ديناً، فلن يكون اليوم  
ديناً».

وقال : «لو أن العبد ارتكب الكبائر  
كلها دون الإشراف بالله شيئاً، ثم  
نجا من هذه الأهواء، لرجوت أن  
يكون في أعلى الفردوس. لأن كل  
كبيرة بين العبد وربه هو منها على  
رجاء، ولكل هوى ليس هو على  
رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار  
جهنم .

رحمه الله تعالى ..

من المراجع الكثيرة التي تالأت بسيرته

سير أعلام النبلاء للذهبي  
تذكرة الحفاظ للذهبي

صفحة الصفوة لابن الجوزي  
جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر  
الانتقاء لابن عبد البر  
حلية الأولياء لأبي نعيم